

ملامح التفكير النقدي عند أبي القاسم سعد الله

Features of critical thinking at Abu al-Qasim Saad Allah

عادل بلخيري*

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الارسل

المخلص:

إن نظرة عجلية ومختصرة على حياة الأستاذ أبي القاسم سعد الله وأصول تكوينها توحى لنا ولا ريب أننا أمام قامة سامقة ، تفرض علينا الوقوف أمام آرائها العلمية تأملا و استنباطا و عرفانا ، كما تفرضها علينا المنهجية العلمية باختيارنا الجانب النقدي والأدبي لشخصية علمية إصلاحية مجمدة جمعت بين النقد والأدب و الشعر و التحقيق والترجمة والتاريخ ، و لأسلوب فذ قل مثيله التقى فيه الفني بالتاريخي ، مشكلان (مدرسة) أدبية نقدية لها خصوصيتها و أسلوبها وبالأخص في السياق التاريخي لعصرها ، فمن هو أبو القاسم سعد الله الناقد ؟ وما هي الظروف والسيقات التي تفاعلت في صناعة شخصيته الأدبية والنقدية ؟ ما هي إسهاماته في مجال النقد ؟ وما ملامح التجديد النقدي في عصره ؟

كلمات مفتاحية: النقد الجزائري ، أبو القاسم سعد الله ، الفكر النقدي.

Abstract:

A hasty and brief look at the life of Professor Abi al-Qasim Saad Allah and the origins of its formation clearly suggests to us that we are in front of a lofty stature, which obliges us to stand before its scientific views in meditation, deduction and gratitude, just as the scientific methodology imposes it on us by choosing the critical and literary side of a reformist, scientific personality that combined criticism And literature, poetry, investigation, translation, and history, and for a unique style that has few equals in which the artistic meets the historical, two problems (a critical literary school) that has its own specificity and style, especially in the historical context of its era, so who is Abu al-Qasim Saad Allah the critic? What are the circumstances and contexts that interacted in creating his literary and critical personality? What are his contributions in the field of criticism? What are the features of monetary renewal in his time?

Keywords: Algerian criticism, Abu al-Qasim Saadallah, critical thought.

مقدمة:

إن نظرة عجلية ومختصرة على حياة الأستاذ أبي القاسم سعد الله وأصول تكوينها توحى لنا ولا ريب أننا أمام قامة سامقة ، تفرض علينا الوقوف أمام آرائها العلمية تأملاً واستنباطاً و عرفاناً ، كما تفرضها علينا المنهجية العلمية باختيارنا الجانب النقدي والأدبي لشخصية علمية إصلاحية مجددة جمعت بين النقد والأدب و الشعر و التحقيق والترجمة والتاريخ ، و لأسلوب فذ قل مثيله التقى فيه الفني بالتاريخي ، مشكلان (مدرسة) أدبية نقدية لها خصوصيتها و

1

تعليمه : دخل جامع (البدوع) عندما بلغ الخامسة من العمر ، أين حفظ القرآن الكريم والمتون ، ثم توجه بعد الحرب العالمية الثانية ، أي سنة 1947 إلى جامع الزيتونة بتونس ، أين بدأت ثقافته تنضج من خلال المنافسة العلمية بينه وبين زملائه في حلقات الدروس ، وينقل لنا سعد الله مشهداً من هذه المنافسة فيقول : " أذكر أن شاباً تونسياً كان يجلس إلى جانبي في حلقة الدرس وهو ابن حميدة وكان ينافسني في مادة الأدب إلى حد بعيد ... " ² و لا شك أنه كان لهذه المنافسات أثرها البالغ في تكوين ثقافة سعد الله من خلال تشجيعات مشايخه له ، كما فعل شيخه علي الأصرم حينما قال " إنني فخور بك يا سعد " ³ ، كما شارك هناك في الوسط الأدبي أين حصل على شهادة الأهلية سنة 1951 ، وعلى التحصيل سنة 1954 وبعد عودته إلى أرض الوطن اشتغل بالتعليم . وتحت ستار السفر إلى الحج التحق في أكتوبر 1955 بمصر وانتسب إلى كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، وتخرج منها سنة 1959 بالليسانس في الأدب العربي والعلوم الإسلامية ، وبعد سنة حصل منها على سنة أولى ماجستير في النقد الأدبي ، ثم سافر أواخر 1960 إلى الولايات المتحدة الأمريكية في بعثة وانتسب إلى جامعة منيسوتة التي حصل منها على شهادة

أسلوبها وبالأخص في السياق التاريخي لعصرها ، فمن هو أبو القاسم سعد الله الناقد ؟ وما هي الظروف و السياقات التي تفاعلت في صناعة شخصيته الأدبية والنقدية ؟ ما هي إسهاماته في مجال النقد ؟ وما ملامح التجديد النقدي في عصره ؟

ترجمة مختصرة للناقد :

مولده : ولد أبو القاسم سعد الله في قرية البدوع بجوار مدينة قمار بوادي سوف ، ولا يذكر أهله سوى أنه ولد في صيف شديد الحرارة سنة إعادة ترميم الجامع الكبير ومدرسته بقمار ، حوالي سنة 1930

الماجستير في التاريخ والعلوم السياسية سنة 1962 ، وعلى شهادة الدكتوراه في نفس التخصص سنة 1965 وبعد ممارسة التعليم سنتين في جامعة ويسكنسن بأوكليز التحق في خريف 1967 بجامعة الجزائر إلى أن تقاعد . وقد درس من اللغات الأجنبية : الإنجليزية والفرنسية والفارسية والألمانية ومبادئ الإسبانية كما هو مدون في ترجماته .

ثقافته الأدبية والنقدية :

كان أبو القاسم مولعاً بالأدب ومهتماً بالجديد و التراثي في مجاله ، مما ساعده على تنمية ثقافته الأدبية ، بالإضافة إلى حبه الشديد للخلوة والانعزالية ، حيث كان يقصد جبلاً صغيراً يسمى الرابطة يطل على تونس ، يطالع الكتب والمجلات لساعات طويلة ، وانكب على شعر المتنبي فحفظ أغلب قصائده ، كما كان لإيليا أبي ماضي أثراً في ثقافة سعد الله لإعجابه بقصيدة " الطلاس " وما تحمله من تمرد وشك وتردد حول مصير الإنسان يتناسب مع مرحلة الشباب الجزائري المغلوب والثورة ورفضها للظلم .

كما قرأ للشابي وجبران خليل جبران كل كتبه وأولع بالشعر المهجري وبشعر مدرسة أبولو ، كما نال مصطفى صادق الرافعي حظاً وافراً سعد الله بمطالعتة لأهم مؤلفاته كرسائل الأحرار و أوراق الورد والسحاب الأحمر ...

ومما صقل ثقافته الأدبية و النقدية متابعته لمعركة القديم والجديد في مصر على صفحات " الرسالة " و " الثقافة " وغيرهما ، وتمرد أصحابه وتحررهم من المفاهيم السائدة في مختلف أوجه الحياة " إنه جزء من ثورة أو شكل من أشكال الثورة"⁴

وقد كان لرابطة القلم الجديد أثر في صقل ثقافة سعد الله الأدبية وتوجيهها، من خلال الاجتماعات الاجتماعية الأدبية التي كانت تعقد بين أعضائها ، وهي رابطة تضم مجموعة من الشبان الأدباء ، معظمهم تونسيون ومعهم بعض الجزائريين منهم سعد الله والشاذلي زوكار وابن حميدة ...

عاد إلى أرض الوطن سنة 1954 وخفت حينها نشاطه النقدي والأدبي نوعا ما بسبب ظروف الجزائر الأمنية والسياسية آنذاك .

انتقل للدراسة بالقاهرة في خريف 1955 فتوثقت صلاته بالأدب من خلال الندوات والمهرجانات الأدبية التي كانت تقام ، وتعرف على أدباء مصر الثائرين والمتمردين خاصة الشعراء منهم أمثال أحمد عبد المعطي حجازي وصالح عبد الصبور ...وعلى نقادها كمحمود أمين العالم و غالي شكري .

5

وفاته : توفي يوم 14 ديسمبر 2013

مؤلفاته :

لقد ألف أبو القاسم سعد الله وترجم العديد من الأعمال الأدبية و الفكرية والتاريخية ، وقد نشر بعضها في الجزائر والباقي في الأقطار العربية ، ليتفرغ في أواخر حياته للبحث والدراسة في التاريخ الجزائري .

ومن مؤلفاته الضخمة نذكر ما تضمن آراءه الأدبية والنقدية وكتابات الشعرية إذ نجد :

- النصر للجزائر (شعر) 1986

- ثائر وحب (شعر) 1977
- الزمن الأخضر (ديوان) 1985
- سعة خضراء (قصص) 1986
- دراسات في الأدب الجزائري الحديث 1985
- محمد العيد آل خليفة ، رائد الشعر الجزائري الحديث 1984 .
- حكاية العشاق في الحب والاشتياق رواية (تحقيق) 1983
- القاضي الأديب : الشاذلي القسنطيني 1985
- تجارب في الأدب والرحلة 1984
- أشعار جزائرية (تحقيق 1988)
- منطلقات فكرية 1982
- أفكار جامعة 1988
- وغيرها

واقع النقد في الجزائر إبان الاستعمار ومطلع الاستقلال :

العلماء المتلازمان الأدب والنقد يتأثران حتما بفعل التحولات الثقافية والحضارية التي تسود البيئة و المجتمع ، ويضعف أحدهما أو يتطور لضعف الآخر أو تطوره ، يقول الدكتور مخلوف عامر "إذا كان النقد حلقة في السلسلة الثقافية التي تسود المجتمع في ظروف معينة ، فإنه — من غير شك — يتأثر بالوضع الثقافي العام في الوقت الذي يمارس فيه — هو الآخر — تأثيره في البنية الثقافية"⁶ وإذا كان الأدب باعتباره — تظهرا ثقافيا وشكلا من الأشكال التعبيرية ، فإنه يتفاعل هو الآخر بشكل جدي مع الظاهرة النقدية ، بحيث يؤثر فيها ويتأثر

بها ، إن سلبا أو إيجابا ، ولأن الفكر الثقافي الاستعماري في بداية القرن العشرين كان يسعى إلى القضاء على الثقافة المحلية الأصيلة ونشر ثقافة استعمارية بديلة ذات طابع كولونيالي مهمته طمس المعالم الوطنية والتاريخية ، بما فيها الموروث الثقافي العربي الأدبي والنقدي ، في ظل هذا الجو الثقافي القاتل كان من الصعب الحديث عن حركة نقدية جزائرية ناضجة ومكتملة ، وهذا أمر طبيعي له ما يبرره وهو أن الحركة النقدية الأدبية في الجزائر في النصف الأول من القرن العشرين اتسمت بالضعف والاضمحلال والركود على عكس ما شهدته في النصف الثاني منه⁷

وإذا كان الاستعمار هو الفاعل الرئيس والمؤثر السلبي في الحركة الأدبية والنقدية — في هذه الفترة — فإن هنالك عوامل أخرى أسهمت — أيضا — في ضعف الحركة الأدبية والنقدية في هذه الفترة ، وهي أن معظم الأدباء والنقاد انشغلوا بالجانب السياسي ملبين بذلك نداء الوطن ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فإن الاستفادة من الثقافات الأخرى سواء العربية أو الأجنبية كانت ضعيفة أيضا⁸

لقد بات من المستحيل الحديث عن نظرية نقدية جزائرية — في تلك الفترة — كما هو شائع ومتداول بين النقاد والدارسين اليوم⁹ وهو ما أدى بمحمد السعيد الزاهري — واصفا المشهد الثقافي آنذاك — إلى التصريح بالقول " أعرض على كتابنا وأدبائنا الجزائريين هذه القصيدة القصيرة ، وأرجو من كل أديب (قدر على نقدها) أن ينتقدها انتقادا أدبيا وأن يرينا أنموذجا من هذا الفن الجميل ، فن النقد الذي هو ميز الخبيث من الطيب ، والخطأ من الصواب ، والصحيح من الفاسد ، فإننا قد عرفنا أن بالجزائر شعراء فحولا ، وكتبة متقدمين ، وعرفنا مقدرتهم في أغلب وجوه الكتابة إلا في النقد الأدبي ، فإننا لم نعرف مبلغه ببلادنا الجزائر ، فهل يتقدم أحد من

حملة الأقلام إلى هذه القصيدة ، فينتقدها بإنصاف يكشف عن سيئاتها ، ولا يظلم حسناتها ؟ ليس الانتقاد هو الاقتصار على المدح أو القدح متى وجدا معا " ¹⁰ فالزاهري تعتمد إبراز الضعف في هذه القصيدة ليختبر يقظة النقاد ومدى قدرتهم وحذقهم في الكشف عن مواطن الخلل والجودة فيها " ¹¹ و " هو ما جعله يعتقد أن النقد تمييز الخبيث من الطيب والخطأ من الصواب والصحيح من الفاسد ، وهي نظرة جزئية لا تخرج عن الدائرة التقليدية في حكمها على البيت الواحد منفردا في إطار القصيدة ، وفي كشفها أيضا عن السيئات والحسنات داخل هذه القصيدة " هكذا تداخلت المؤثرات (الأدبية والنقدية) " ¹² واختلطت المفاهيم والمصطلحات ولم تتحدد بذلك وظيفة الأديب من الناقد ، فأصبح الأديب ناقدا والناقد أدبيا .

وبالرغم من ذلك فقد شهدت الساحة الأدبية الجزائرية قبل الاستقلال بعض " المحاولات النقدية احتضنتها مجموعة من الصحف والمجلات ، كان من أهمها : المنتقد ، والشهاب ، والبصائر (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) وكان أبرز كتابها نقادا وأدباء أمثال : محمد البشير الإبراهيمي ، أحمد رضا حوحو ، وأبي القاسم سعد الله وعبد الوهاب بن منصور " ¹³ لم تخرج هذه الانطباعات النقدية الصحفية عن إطار الاتجاه التقليدي الكلاسيكي الذي رسمه لنا نقادنا الأوائل ، فقد " كانت مجهودات جمعية العلماء المسلمين تسير في إطار الاتجاه التقليدي التراثي ، وذلك بإحيائها للأصول التراثية فكان منها أن اهتمت بعلوم اللغة العربية وآدابها ضمن توجهها الإصلاح الديني والوطني . " إن الدور الفاعل الذي لعبته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يكمن في أنها أشارت إلى عناصر الهوية الوطنية (الدين ، اللغة ، الوطن)

غير أنها كانت بعيدة كل البعد عن الممارسة النقدية العالمية و العربية " ¹⁴

إن المشهد الثقافي والنقدي الجزائري — في هذه الفترة — " لم يخرج عن إطار الدائرة التقليدية ، إذ أصبح من المستحيل — قبل الاستقلال — الحديث عن عمل نقدي متميز إلا نادرا تجلى في بعض الانطباعات النقدية الصحفية المرسومة من قبل الأوائل وهكذا فقد " كانت النظرة التقليدية إلى الأدب والفن عندنا لا تهتم بالمنطق والعقل و العاطفة ، بل تركز على الموروث الديني لحماية النفس من الضياع في عالم الكولون الاستعماري ، فلم تخرج نظرهم إلى الحياة عن الأخلاق العامة والحياة المحلية ومحاولة محاكاة القدماء لفظا ومعنى " وفي ظل هذا الجو القاتم صدرت بعض المحاولات النقدية المجددة والرافضة للتقاليد الموروثة ، يتعلق الأمر بتلك المحاولات التي قدمها رمضان حمود وأحمد رضا حوحو للذان كانت لهما آراء تجديدية لمفهوم النقد والأدب ، تنفتح على ثقافات الغير يقول أحمد رضا حوحو " ومن التعصب الذميمة أن ننكر النافع الجيد من مذاهب الغير في الأدب والفنون لأن أصحاب هذا المذهب أو ذاك لا يمد إلينا بصلة " ¹⁵

ونجد أيضا من ضمن محاولات التجديد في النقد أبي القاسم سعد الله بيت القصيد في مقالنا ومحور حديثنا :

أبو القاسم و النقد الأدبي :

أبو القاسم وإن ذاع صيته بعدها في علم التاريخ إلا أن له باعا يستحق التأمل في مجال النقد الأدبي ، فإذا تقرر لدينا في ترجمته أنه كان ذا تكوين أصيل واطلاع ثقافي واسع على ثقافات وآداب الغير - لامتلاكه مفاتيح تلك الثقافات ألا وهي اللغات والملاحظة العينية عن طريق الرحلات - ، وإذا تقرر أيضا أن بدايات كتاباته كانت في صحيفة البصائر

سنة 1954 وأطلق عليه حينها لقب " الناقد الصغير" ، إذا تقرر كل ذلك علمنا أن " الناقد الصغير" قد تحول إلى فرس رهان ، له في هذا مضمار النقد عديد المقالات التي عالج من خلالها واقع النقد الأدبي في الجزائر نشرها في صحف جزائرية وعربية ، وكذلك ما دونه في كتبه خاصة منها " دراسات في الأدب الجزائري الحديث " " تجارب الأدب والرحلة " " قضايا شائكة " وقد صرح في هذا الأخير باهتمامه في مجال النقد إذ قال : " وكنت ...ولوعا بالنقد الأدبي ، وكنت أحاول " إثارة الشغب " حول القضايا الأدبية ، حتى أنني ذات مرة نقدت نفسي بنفسي ، عندما لم أجد نقادا يعاركونني ، وإذا عدت إلى كتابي (تجارب في الرحلة والأدب) ستعرف ذلك ، وكذلك كتابي " دراسات في الأدب الجزائري الحديث " ومازال لدي مقالات عالجت فيها النقد لم تنشر بعد " ¹⁶

وإذا يميننا الحديث شطر دعوته بالعودة إلى كتابه (تجارب في الرحلة والأدب) فإننا نجد الكتاب مجالا رحبا للحوارات الأدبية جزرا ومدا ، و للواقع الثقافي تدوينا ونقدا ، فالكتاب كما يصرح في مقدمته يضم " مجموعة من التجارب في الأدب والنقد والقصة و الشعر وآراء الحركة الأدبية في الجزائر والمغرب العربي و الوطن العربي على العموم ...يشمل أبحاثا ونصوصا من تاريخ الأدب الجزائري والثورة الجزائرية في الأدب العربي ...، مراجعات لكتب وأطروحات في الأدب يعود بعضها إلى الخمسينات عندما كنت شاديا في النقد الأدبي ...ويعود بعضها إلى الستينات... وآخر ما قدمت من كتب في السبعينات هو ما كتبه عن ديوان ألم وثورة للشاعر الأستاذ مصطفى الغماري ...وتناولت في القسم الثالث من هذه المجموعة مناقشات كنت قدمت بها في الخمسينات لعدد من قضايا النقد الأدبي ...ويحتوي هذا القسم أيضا على أربعة

أحاديث حول قضايا الأدب والنقد في الوطن العربي ووضع الأديب من أمته ومن سياسة زعمائها ونحو ذلك¹⁷ فمن خلال صفحات هذا الكتاب يمكن أن نستشف الكثير من ملامح التفكير النقدي الأدبي المتميز و يمكن أن نتتبع عبرها تاريخ الممارسة النقدية الجزائرية .

في إشرافه على ندوة تسمى (ندوة الأساتذة) تعالج خلالها عدة قضايا تهتم بالجزائر والوطن العربي قدم أبو القاسم سعد الله أسبابا منطقية لمعالجة قضية غاية في الأهمية ألا وهي " الأدب الجزائري الحديث " موضوع تلك الندوة فيقول : " إن الحاجة واضحة وملحة إلى تحديد وتقييم مفاهيمنا الأدبية على ضوء تطورنا السياسي والاقتصادي بعد الاستقلال لكي نعرف الفرق بين ماضينا وحاضرنا الأدبي ومدى استجابة إنتاجنا الشعري والنثري إلى التزامات العصر " فابو القاسم هنا يشير إلى ضرورة تفاعل النص الأدبي مع السياق السياسي الاجتماعي الذي يتحرك فيه وبالتالي فإنه يقدم : " رؤية تحليل على مقاربة سوبولوجية تحتفي بتفاعل النص مع البعد الاجتماعي السياسي، كما تبين أهمية النقد الأدبي في تطوير النصوص وتقييمها وربطها بقضايا الإنسان، كما أن انجاز عملية التحليل والتأويل للنصوص يضعها في سياقها التاريخي الأدبي، ويكشف اختلافها أو اتفاقها مع النصوص السابقة عنها"¹⁹

وفي ضرورة النقد المستمر للإنتاج الأدبي يؤكد أبو القاسم على ركيزتين لا بد من أخذها بعين الاعتبار في هذه الممارسة النقدية تجمعان بين الأصالة والمعاصرة ألا وهما النقد قصد التطوير وكذا معرفة ما يمثل الحضارة العربية والإسلامية من غيره في هذا الإنتاج الأدبي فيشير إلى أن الأدب " باعتباره يمثل الانطلاقة الشعورية العالية في ثقافة ما يحتاج دائما إلى الصقل والتجديد بالمناقشة والنقد ، حتى

لا يتجمد ويصبح يدور حول نفسه ، وكون أدبنا الحاضر مزدوج اللغة يجعله فذا في بعض مظاهره وهذه الفذاة هي التي تحتم علينا أن نتدارس قيم ومواقف هذا الأدب حتى نعرف ما الذي منه يمثل حقا حضارتنا العربية وما الذي منه يمثل حضارة دخيلة ووجودا مزيفا "²⁰ ثم يؤكد على رسالة الأدب الرئيسة في نظره وهي " كون الأدب الجزائري امتداد طبيعي للأدب العربي عامة ، وكونه في جملته أدب كفاح ، يفرض علينا أن نعرف إلى أي مدى استجاب ويستجيب إلى قضايا العروبة من ناحية و القضايا الإنسانية من ناحية أخرى "²¹.

وفي تعريفه للأدب الجزائري يشير أبو القاسم قضية خلافية نقدية متجددة مبرزا رأيه عند هوية الأدب الجزائري وإشكالية الثنائية اللغوية في التعبير الأدبي الجزائري، يقول معرfa الأدب الجزائري: " إنه الإنتاج النثري والشعري الفني الذي كتبه الجزائريون بلغتهم القومية ، وعلى هذا الأساس فإن كل أدب انتسب إلى الجزائر دون أن يتوفر له هذا الشرط ، يعتبر أدبا شاذا غريبا أو مولودا غير طبيعي، يمثل مأساة صاحبه وليس حضارة أمته "²² وهذه القضية من الملامح المميزة في التفكير النقدي عند أبي القاسم سعد الله في سنة 1968، يقول الأستاذ وليد بوعديلة " ولسنا ندري هل تراجع عنها فيما بعد، و قد يسانده فيها البعض ويخالفه فيها البعض الآخر، بخاصة لصراحتها وجراتها في تناول إشكالية مهمة جدا وما تزال مطروحة إلى يومنا هذا . ونحن نختلف معه هنا، فماذا نعتبر روايات محمد ديب ومولود فرعون ؟ وماذا عن كاتب ياسين ومالك حداد وغيرهما من الذين كتبوا باللسان الفرنسي ؟ وماذا لو قرأنا أدبا جزائريا بلسان عربي وقيمه أوروبية أو يقترح هوية جزائرية منسلخة عن القيم الإسلامية ؟ بل و متمردة على التاريخ الجزائري ورافضة للقيم الاجتماعية التقليدية ؟ ثم

لماذا ننجز رؤية دينية عن الأدب؟ وماذا عن الأدب باللغة الامازيغية؟.... الأكيد أنها إشكالية كبيرة ومتعددة الجوانب، ولأبي القاسم شرف التعبير عن رأيه بصراحة معرفية²³

ومن ملاحم التفكير النقدي ثورته على التقليد في الأدب الجزائري ودعوته لثورة تسفر عن هبة أو طفرة تجديدية فيقول "ونظرا لقلّة التمردات والطفرة في أدبنا، ونظرا لأن الأديب الجزائري يبدو تقليديا بطبعه، فإن المدارس والتيارات وتنوع الموضوعات قليلة في الأدب الجزائري... مما يلفت النظر أن الأدب الجزائري في عمومها أدب راكد ولا يتطور إلا في إطار ضيق وببطء شديد لعله مهمل، فنحن لا نجد فيه تمردات خلاقة كما يحدث في الآداب العالمية ولا نجد لأدبائنا مواقف مستقلة هجومية (خارجة عن القانون)" وهذه تعبيرات فكرية تعبر عن تصور نقدي تجديد ومغامر، أو لنقل عن فكر لا يتوقف عند القواعد الجاهزة والسائدة، ولو استمر سعد الله بشخصيته النقدية لكان ذا شأن نقدي كبير في التعبير عن قضايا خرق المتداول والمألوف والثابت بكل تجلياته الأدبية أو الفكرية أو السياسية، وقد عرف عنه عدم التملق وعدم النفاق في الحياة الشخصية أو الكتابة التاريخية. وقد أكد هذه الرؤية المغامرة: "أن التمرد ضرورة للخلق الفني، ونعتقد أنه لكي يكون الأدب العربي أدبا خلاقا، يجب أن يكون أصحابه مستقلين في مواقفهم وأحكامهم، إن أسوأ ما يتعرض له الأديب هو التوجيه من الأعلى واحتكار أفكاره من السلطة، أي كان نوعها، كيف نخلق في الفكر إذا لم نتمرد؟..." (ص33)، من يقرأ هذه الأفكار في زمن التعددية والديمقراطية الآن يراها مقدمة في زمنها، وهي أفكار ارتفعت في زمن الأحادية والقبضة الأيديولوجية الاشتراكية وما صنعتها من أدب

اشتراكي واقعي ومشهد ثقافي أحادي الرؤية الفكرية²⁴

كما خصص أبو القاسم سعد الله كتابا تناول فيه بالنقد والتحليل شعر محمد العيد آل خليفة [1904-1979م]، هو أول كتاب ألفه، وتولى تقديمه الإمام العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وكان الشاعر محمد العيد حيا حين نشر هذا الكتاب. وقد فصل سعد الله القول في حياة محمد العيد وأبرز العوامل التي كونت شخصيته وأورد آراءه وتجاربه، كما تحدث بالتفصيل عن شعره من حيث تطوره وأغراضه ومنزله. ومن أوائل مقالاته النقدية نجد مقالته في ظلال النقد - مع حمار الحكيم التي نشرها في البصائر عدد 250 (11 ديسمبر 1953) وكانت هذه الكلمة من أوائل ما كتب في النقد الأدبي، وقد رد عليه الأستاذ حوحو في العدد التالي من (البصائر) بكلمة جعل عنوانها (في ظلال النقد) وإشارة إلى كلمة سعد الله التي جعل عنوانها في ظلال النقد وقد اتهمه في كلمته بكونه لا يزال طالبا ومتأثرا بما يقرأ في الكتب المدرسية.²⁵ ومقالة أخرى تحدث فيها عن الأدب الجزائري ومؤثراته وتياراته²⁶ وهي موجودة أيضا في مجلة الرسالة (العراق) 5 - 6 1960م

ويتوقف الكاتب عند كتاب "مع حمار الحكيم" لرضا حوحو، باحثاً في بعض خصائصه اللغوية والموضوعاتية، وكاشفاً تفاعل رضا حوحو في بعض أفكاره مع صادق الرافعي والمازني والعقاد، مما يدل على التنوع الثقافي الذي يميز الناقد (سعد الله) مما أهله لمعرفة التناصات والحوارات الفكرية في نص المبدع (حوحو). (كما درس نصوصاً أدبية أخرى كثيرة، ومنها مسرحية مصرع الطغاة لعبد الله الركيبي التي نشرها بتونس سنة 1959، وقد نشر كاتبنا عنها مقالاً في سنة 1967 في مجلة المجاهد الثقافي، ولخص أفكارها الثورية ومسألة التضحية

صاحب النص ولكنه يقدم قيمة للجيل المعاصر ومن بعده ، وفي ذلك مسؤولية أدبية وتاريخية كبيرة²⁸.

ثم يركز على أن النقد الأدبي يرتبط ارتباطا وثيقا بأنواع النقد الأخرى ، فيقول " ...أما النقد بالمفهوم الخاص (النقد الأدبي) فلا يشكل في نظري إلا جزءا من القضية ، بل لعله يأتي نتيجة أنواع النقد الأخرى . وإذا لم يكن الأمر كذلك ، فما معنى النقد الأدبي في غياب النقد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي ...؟ خذ مثلا توجيه الثقافة في بلادنا العربية - الإسلامية ، هل هو أمر يهم فئة معينة (النقاد) أو هو قضية الجميع مهما اختلفت مسؤولياتهم ..؟ إن نقد البرامج التلفزيونية و السينمائية و الإعلامية وطبع الكتب وتوجيه البعثات الطلابية إلى الخارج والتبادل الثقافي مع الدول الأخرى كل ذلك يعتبر في نظري قضية الجميع وليس قضية (النقاد) بالمعنى التقليدي للكلمة " ²⁹

الوطنية والموقف الاستعماري من الثورة، كما حلل رمزيات الشخصيات والمواقف . واعتبر المسرحية متضمنة لطواهر نفسية وفكرية تفيد كل مهتم بدراسة الجزائرية عشية الثورة و خصوصيات المجتمع وملامحه في ذلك الزمن²⁷.

وعن ضعف الحركة النقدية في الجزائر يقول سعد الله " نحن لا نستطيع الحكم بضعف النصوص أو قوتها إلا بالنقد . أما ضبابية المناخ الديمقراطي فلا نسلم به أيضا لأننا لم نسمع أن هناك عملا نقديا متفوقا حاربته الرقابة السياسية ، ولعل الصواب أن نبحت في ضعف النقد نفسه وفي جبن الناقد أيضا ، والنقد عندنا يكاد يكون معدوما ، لأننا لا نقدره حق قدره ولأننا لا نعرف أو لا نؤمن بأهميته في حياتنا وفي مصيرنا وعلى أجيالنا ، نحن قوم نخاف الكلمة المكتوبة ، ألا ترى أننا ننقد بعضنا في المقاهي وفي المجالس العامة ولكننا لا ننتقد بعضنا في الجرائد والكتب والندوات ؟ وهذا الخوف من النقد ومن الكلمة المكتوبة بالذات شيء شائع في حياتنا اليومية ، سواء كانت سياسية أو أدبية ، فالسياسي لا يعتبر النقد نصحا وغيرة وطنية وتقويما ولكنه يعتبره ضدية ومخاصمة وتخريبا ، والأديب المنتج لا يرى في النقد تصحيحا وطلبا للأفضل والأجود من الإنتاج الأدبي ولكنه يعتبره تثبيطا ومسا بالكرامة والشرف .

وقد كنت كتبت عن هذه الظاهرة بالنسبة للكتابة والتاريخية بالذات ، ولكن ذلك يمكن تعميمه على مختلف أنواع الإنتاج عندنا ، ومنه النقد الأدبي ، ولعلني لا أكون مغاليا إذا قلت إن جبن الناقد هو السبب فيها تعانيه الجزائر من غياب النقد ، والمعروف أنه ليس كل من حاول النقد ناقدا ، فهناك شروط يجب أن تتوفر في الناقد ومنها الكفاءة والثقافة بأوسع معانيها و القدرة على الفهم و تذوق النص ، ذلك أن النقد لا يخوض معركة شخصية مع

- ¹ أبو القاسم سعد الله ، أفكار جامحة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر د ط ، ص 177 .
- ² المرجع نفسه ص 182
- ³ المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها
- ⁴ المصدر السابق ص 184
- ⁵ المصدر السابق 185 — 186
- ⁶ مخلوف عامر " متابعات في الثقافة والأدب " منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين ، الجزائر ، 2002 ، ص 205 .
- ⁷ عمار بن زايد النقد الأدبي الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1990 ، ص 7، 8 .
- ⁸ مخلوف عامر المرجع السابق ص 208
- ⁹ محمد مصايف ، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط 2 ، الجزائر ، 1984 ص 17
- ¹⁰ الشهاب في 1925/12/17 ، نقلا عن عبد الله الركيبي " تطور النشر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 ، ص 239- 263 .
- ¹¹ أحمد يوسف " السلالة الشعرية في الجزائر ، علامات الخفوت وسيماء اليتيم " مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، سيدي بلعباس الجزائر ، 2004 ، ص 75 .
- ¹² عبد الله الركيبي مرجع سابق ص 250
- ¹³ محمد مصايف ، النقد الأدبي الحديث
- ¹⁴ مخلوف عامر أسئلة ورهانات الأدب الجزائري المعاصر ، دار الأديب للنشر والتوزيع ، وهران 2005 ، ص 71 .
- ¹⁵ مخلوف عامر ، المرجع السابق ص 210 .
- ¹⁶ أبو القاسم سعد الله ، قضايا شائكة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ص 64
- ¹⁷ أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب والرحلة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر د ط ص 6
- ¹⁸ المرجع نفسه ، ص 31
- ¹⁹ ينظر : الأستاذ وليد بوعديلة ، القضايا الأدبية في كتابات أبي القاسم سعد الله ، موقع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين <http://www.oulama.dz/?p=4320>
- ²⁰ أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب والرحلة مرجع سابق ص 29
- ²¹ المرجع نفسه
- ²² المرجع نفسه
- ²³ وليد بوعديلة المرجع السابق
- ²⁴ المرجع نفسه
- ²⁵ أبو القاسم سعد الله تجارب في الأدب والرحلة ص 117 .
- ²⁶ دراسات في الأدب الجزائري ص 31
- ²⁷ وليد بوعديلة ، مقال في موقع جمعية العلماء ، مرجع سابق .
- ²⁸ أبو القاسم سعد الله قضايا شائكة ، ص 66 .
- ²⁹ المصدر نفسه ص 72 ، 73 .